

الجمعية التعاونية للبتروك

حول الرسول الأكرم
صلى الله عليه وسلم

المحاضرة التي ألقاها بقاعة الجمعية

الأستاذ حسن كامل المطاوى

في مساء يوم ٩ من شهر ربيع الأول ١٣٩٤

(الموافق ٣ أبريل ١٩٧٤)

بسم الله الرحمن الرحيم
حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

أيها المستمعون الكرام :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد ، الذي اجتمعنا في محبة أخوية إسلامية على ذكره العاطرة وسيرته الحميدة بمناسبة مولده الشريف ، أعاده الله علينا وعليكم وعلى سائر المسلمين في المشارق والمغارب بخير ما تعود الأيام .
ثم إنني أتقدم بشكري خالصاً لمجلس إدارة الجمعية التعاونية للبتروك فقد أتاح لي بدعوته الكريمة أن أسعد بالتحدث إليكم في أجمل الذكريات وأعزها على قلوبنا جميعاً ، وهي في ذكرى أحب أحبب الله ، وأعظم رسله الكرام ، الذي هدانا الله به إلى الحق ، وإلى الصراط المستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض .

أما بعد :

فإن تاريخ مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حافل ، وذكره العاطرة ذات أقطار واسعة ، وأنوار مشرقة ، ونحن نحتفل بها في كل عام

لنستضىء بها فى ظلمات الحياة الدنيا ، لنعبر تلك الظلمات إلى طريق الآخرة التى هى خير وأبقى ، فنحن بإحياء ذكرى الميلاد النبوى نأخذ من صاحب الذكرى ولا نعطيه ، لأن الله تعالى أغناه عما سواه ، فرعاه فى كل أطواره وتولاه ، وكفاه شرفاً أن يقول له عز وجل : (فإنك بأعيننا) . ويسعدنى الليلة أن أحدثكم فى موضوع محاضرتى ، وهى : ((حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم)) .

الرسول أفضل الخلق على الإطلاق :

إن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلق على الإطلاق ، ودلائل تلك الأفضلية واضحة بينة بأدلة قوية ، ومن تلك الأدلة :

(١) إن أمتة المحمدية خير الأمم ، فقد قال تعالى فى سورة آل عمران : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ، ولا يرسل الله تعالى لخير الأمم إلا خير الرسل .

(٢) إن الأمة المحمدية عدول فى الشهادة ، يقول سلطان العلماء سيدى الشيخ العز بن عبد السلام رضى الله عنه : ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل أمتة منزلة العدول من الحكام

فيشهدون على الناس بأن رسلهم بلغتهم ، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد غيره من الأنبياء .
 وقد أخرج البخارى والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدعى نوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فتدعى أمته ، فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فذلك قول الله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ، الوسط : العدل ، فتدعون فتشهدون لى بالبلاغ وأشهد عليكم " .

وفيما أخرج أحمد والنسائى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يجيء النبى يوم القيامة ومعه الرجل ، والنبى ومعه الرجلان فأكثر من ذلك ، فيقال لهم : هل بلغتم ؟ فيقولون : نعم فيدعى قومهم ، فيقال لهم : هل بلغوكم ؟ فيقولون : لا ، فيقال للنبيين : من يشهد لكم أنكم بلغتم ؟ فيقولون : أمة محمد ، فتدعى أمة محمد ، فيشهدون أنهم بلغوا ، فيقال لهم : وما علمكم أنهم قد بلغوا ؟ فيقولون : جاءنا نبينا بكتاب أخبرنا أنهم قد بلغوا وصدقناه ، فيقال : صدقتم ، فذلك قولك قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال عدولا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) .

(٣) إن شريعته المحمدية نسخ الله بها الشرائع التي سبقتها ، ولا يصح فى الأفهام أن ينسخ الله تعالى الفاضل بالمفضول ، بل يكون العكس هو الصحيح فينسخ المفضول بالأفضل.

(٤) أبقى الله تعالى معجزة القرآن الكريم من بعده صلى الله عليه وسلم ، وتكفل سبحانه بحفظها ، وتحدى بها الإنس والجن على مر الأزمان والدهور ، فدل جميع الأجيال البشرية على صدق الرسالة المحمدية ، ولم تبقى أى معجزة للرسول الكرام عليهم الصلاة والسلام من بعدهم .

(٥) إنه صلى الله عليه وسلم أكثر النبيين تبعاً ، وقد روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم : ((ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما الذى أوتيته وحياً أو حاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا ، ولذلك قالوا إن الأمة المحمدية تراث وحدها نصف الجنة أو أكثر .

(٦) إنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة ، بدليل قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس) ، وقوله تعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وكانت الرسائل السابقة محدودة غير عامة .

(٧) إن الله تعالى قدمه فى القرآن الكريم على من سبقوه من كبار المرسلين عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه . فقال تعالى فى سورة

الأحزاب : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) . وقد قال سيدنا عمر رضى الله عنه لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً : ((بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم ، وتلا رضى الله عنه الآية السابقة ، فبكى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفاناً منه بفضل الله عليه .

(٨) إن الله تعالى أقسم بحياته فى قوله تعالى : (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) ولم يقسم الله بحياة غيره صلى الله عليه وسلم .

(٩) إن الله تعالى تولى الدفاع عنه ورد على أعدائه ، فأغناه عن الرد عليهم بنفسه صلى الله عليه وسلم ، كما وقع من إخوانه المرسلين الذين دافعوا عن أنفسهم فقد حكى الله تعالى مثلاً ما رد به سيدنا نوح عليه السلام حين قال له أعداؤه : (إنا لنراك فى ضلال مبين) فقال فى دفاعه والرد عليهم : (يا قوم ليس بى ضلالة) ، وما رد به سيدنا هود عليه السلام حين قال له قومه : (إنا لنراك فى سفاهة ...) فقال : (يا قوم ليس بى سفاهة ...) ، ولكن حين قال كفار مكة إن محمداً شاعر أو كاهن أو مجنون ، رد الله عليهم نافياً كل ذلك عن حبيبه صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون) ، وبقوله تعالى : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) .

(١٠) إن الله تعالى قرن اسم نبينا عليه الصلاة والسلام باسمه تعالى فى كتابه الكريم عند ذكر طاعته ومعصيته وفرائضه وأحكامه ووعده ووعيده ، فقال تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ، وقال سبحانه : (وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ، وقال عز وجل : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (وأذان من الله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (قل الأنفال لله والرسول ...) ، وقال تعالى : (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ...) ، وقال تعالى : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ...) ، وقال تعالى : (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله ...) ، وقال تعالى (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) .

يقول الإمام أبو نعيم رضى الله عنه فى كتابه ((دلائل النبوة)) : قرن سبحانه اسمه باسمه فى تلك الآيات تعظيماً وتشريفاً له صلى الله عليه وسلم .

(١١) أغناه سبحانه عن الأسباب وتولاه فى كل شؤونه ، فأواه فى يتمه ، وأغناه من فضله ، وعلمه مالم يكن يعلم ، وهداه إلى شرعه ، وجعله هادياً به ومعلماً له ، فعلم أصحابه وأمته وهو الأُمى الذى لم يقرأ أو يكتسب ، يدلنا على ذلك قوله تعالى : (ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى) ، وفى قوله تعالى : (وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) ، وفى قوله تعالى : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون) وفى قوله تعالى : (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً).

(١٢) خاطب الله تعالى جميع الرسل الكرام عليهم السلام بأسمائهم وخاطبه صلى الله عليه وسلم بأوصافه ولم يخاطبه باسمه ، فمثلاً قال تعالى : (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) ، وقال تعالى : (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم من معك) ، وقال تعالى : (ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) ، وقال تعالى : (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) ، وهؤلاء هم كبار المرسلين ، وقد خاطب سبحانه حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم بقوله : (يا أيها الرسول ...) ، وبقوله : (يا أيها النبى ...) ، وبقوله : (يا أيها المزمّل ...) ، وبقوله : (يا أيها المدثر ...) ، وما قال له قط يا محمد .

١٣- كانت الأمم السابقة تنادى المرسلين الكرام بأسمائهم كقول قوم نوح عليه السلام (يا نوح قد جادلتنا فأكثررت جدالنا) وكقول قوم شعيب عليه السلام (يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) وكقول قوم موسى (يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) ... الخ ولكن الله تعالى نهى الأمة المحمدية أن تنادى حبيبه الأعظم باسمه فقال تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فلا يجوز أن يقول له مؤمن يا محمد أو يا أبا القاسم ، ولكن يقول له يانبي الله ، يارسول الله ، يا حبيب الله ، يا صفي الله ، وحرمة باقية بعد وفاته كما كانت له في حياته ، لأنه صلى الله عليه وسلم حتى في قبره وتعرض عليه أعملنا ، فإن وجد خيرا حمد الله ، وإن وجد غير ذلك استغفر لنا كما ورد في الحديث الشريف . ويؤيد ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وهو صلى الله عليه وسلم لا يشهد إلا بما يعلم ولا يعلم إلا بحياته في قبره المبارك ، ثم إننا نسلم عليه في التشهد سلام الحاضر فنقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولا نقول : السلام على النبي ، فتأملوا ذلك جيدا واعلموا أن المصلى لو كلم غيره صلى الله عليه وسلم لبطلت صلاته .

١٤- إن حقه صلى الله عليه وسلم على المؤمنين أعظم من حق آبائهم وأمهاتهم ، ودليل ذلك قوله تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فهو مقدم على نفوسنا بمعنى أننا نؤثره عليها

ونفديه بحياتنا ، أما فى حق غيره فنفسنا مقدمة على الغير ولو كانوا الاباء والأمهات لأنه صلى الله عليه وسلم يقول : ((ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)) ، وفى تحريم أزواجه من بعده وعلى المؤمنين ، وفى إنزالهن منزلة الأمهات تعظيم لحرمة من بعد وفاته كما كانت فى حياته الشريفة .

١٥- إن الله تعالى كرم أبا البشر آدم عليه السلام بسجود الملائكة له ، وكان ذلك مرة واحدة ، بينما قال تعالى فى حق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وهى جملة اسمية تفيد دوام الصلاة عليه من الله سبحانه ومن الملائكة . وصلاة الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم تفيد دوام فيضه عليه ، وصلاة الملائكة تفيد طلب المزيد له من فيضه وفضله وهم بذلك يتقربون إلى الله تعالى ، وكان سجود الملائكة لسيدنا آدم تأديبا لهم حيث قال الله لهم (إني جاعل فى الأرض خليفة) فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) ثم علم الله آدم عليه السلام الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم وأبان لهم سبحانه بذلك فضله عليهم بما علمه الله ، وسر سجودهم لآدم الذى أعده ليكون خليفة لله فى أرضه .

فبينما كان سجود الملائكة لسيدنا آدم مرة واحدة جعل الله صلاة

الملائكة على مولانا رسول الله دائمة لا تنقطع ، بل وشرفه أكثر وأكثر بأن صلى عليه بنفسه سبحانه وداوم الصلاة عليه ولم يكتف بصلاة الملائكة عليه وحدهم ، وفى ذلك الشرف كل الشرف والتكريم كل التكريم ، وصدق سبحانه إذ يقول مخاطباً له (وإن لك لأجراً غير ممنون) أى لا ينقطع الأجر عنك ، بل هو من فضل الله دائم أبداً الأبدية ، وهذا منتهى التقريب والإعزاز .

١٦- وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات أن يتشبهوا بالملائكة الأطهار فيصلون على حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) . وصلاة المؤمنين عليه صلى الله عليه وسلم معناها طلبهم من الله أن يزيد رسوله من فيضه ويكافئه عنهم لأنهم عاجزون عن مكافأته على هدايته لهم .

١٧- كان كل رسول من رسل الله الكريم يقول لقومه : (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) ولكن الله تعالى فرض على الأمة المحمدية أجراً لرسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المود فى القربى ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسناً إن الله غفور شكور) وقد سئل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : ((فاطمة وعلى والحسن والحسين)) ، رضى الله عنهم :

ومع أن الله تعالى فرض علينا مودة آل رسوله الأقربين صلى الله عليه وسلم فإنه تعالى بين لنا أن هذا الأجر راجع بآثره إلينا يوم القيامة فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) فمودة قرباه صلى الله عليه وسلم هو اقتراف الحسنة الوارد في قوله تعالى (ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور رحيم) وسيشفع لنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المودة فيقبل الله شفاعته ويغفر لنا من فضله وكرمه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى ذلك : ((ومن اصطنع حسنة إلى أحد من بنى عبد المطلب ولم يكافئه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة)) فاهنأوا أيها المؤمنون والمؤمنات بمودة سادتنا وسيداتنا أمهات المؤمنين من ذراري الإمامين الكريمين الشريفين سيدنا الإمام الحسن وسيدنا الإمام الحسين رضى الله عنهما وعن أصولهما وفروعهما : وقد قال في شأنهما مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إنما هما ابناى وابنا ابنتى ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)) .

(١٨) كانت سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تقول لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يسارع في هواك . ويؤيد القرآن الكريم ذلك في مواضع كثيرة في مثل قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) وفى قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) فانظروا إلى الرعاية

الكرامة والعناية الكبيرة فى قوله تعالى (قبله ترضاها) وكانت قبلة المصلين الأولى بيت المقدس ، فتمنى رسول الله صلى الله عليه أن لو كانت القبلة إلى الكعبة الزهراء بمكة المكرمة ، فحقق الله له ما أراد ، وحول المصلين إليها .

وتأملوا كذلك فى قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فانظروا كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكن القلب بلا واسطة بل بفضل ربه ، وكيف سكنت قلوب الصحابة بالملائكة ، وكيف ود أن يمدهم ربهم بثلاثة آلاف فمدهم بخمسة آلاف ، وفى ذلك إعزاز وتأييد لرسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ولا عجب فقد جعل الله له فى كل عسر يسرين فقال تعالى (فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا) وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : ((ولن يغلب عسر يسرين)) .

(١٩) إن الله تعالى فرض على المؤمنين والمؤمنات طاعة رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وهى طاعة مفروضة فرضا مطلقا وغير مشروطة بشرط ولا مقيدة باستثناء كما قال الإمام أبو نعيم الأصبهاني رضى الله عنه .

(٢٠) جعل الله رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم مرفوع القدر فلا يذكر الله تعالى إلا ويذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم فى أطيب الأحوال كالإيمان بالله تعالى الذى يقوم على الشهادتين بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكالأذان للصلاة ، وكإقامة الصلاة ، وعند العمل بالطاعات والكف عن المعاصى ، وعند التفقه فى الدين وعند عقد الزواج والإصلاح بين الناس . وكذلك عندما يذكر اسمه صلى الله عليه وسلم فيصلى عليه السامعون ويسلمون .. الخ وصدق سبحانه إذ يقول له منوها بفضله عليه (ورفعنا لك ذكرك) .

(٢١) كرم الله سبحانه أزواجه صلى الله عليه وسلم فخاطبهن خطابا مباشرا بقوله تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) فميزهن فى الفضل والتقوى عن نساء المؤمنين ، وأمرهن بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فقال تعالى لهن بعد ما تقدم (إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا) ولا شك أن تكريمهن بالخطاب الربانى المباشر يدل على ما أراده الله لهن من السعادة الأبدية ، وقد تغنى أحد الصالحين بدخوله تحت قوله تعالى (يا عبادى) فقال :

ومما زادنى شوقا وتيها	وكدت بأخمصى أطاء الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى	وأن صيرت أحمد لى نبيا

فما بالكم بخطابه تعالى لهن (يانساء النبي) فنسبهن إلى صفوة أنبيائه ورفع مكانتهن بقوله تعالى (لستن كأحد من النساء) فأفردهن بمقام خاص ليس لغيرهن مثله .

(٢٢) وكما خص الله تعالى أزواجه الطاهرات فقد أشرك معهن أهل بيته صلى الله عليه وسلم وهم على أرجح الأقوال أصحاب الكساء ، وقد قالت السيدة أم سلمة رضی الله عنها : فى بيتى نزل قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وكان فى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فجعلهم رسول الله كسائه ودعا فقال : ((هؤلاء أهل بيتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا)) قالت رضی الله عنها ، فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه صلى الله عليه وسلم وقال : مكانك وأنت على خير .

ويعقب سيدى الإمام محيى الدين بن عربى على قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فيقول فى كتابه الفتوحات المكية (الباب ٢٩) : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا محضاً قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس ، وهو كل ما يشينهم ، فلا يضاف إلا كل مطهر ، ولا بد فإن المضاف إليهم هو الذى يشبههم ، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس ، فهذه شهادة من النبى صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسى بالطهارة والحفظ والعصمة حيث قال فيه رسول الله صلى الله

الله

عليه وسلم : ((سلمان منا أهل البيت " ، وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم . وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مطهر مقدس وحصلت له العناية الربانية الإلهية بمجرد الإضافة ، فما ظنك بأهل البيت فى نفوسهم ، فهم المطهرون ، بل عين الطهارة . وأضاف رضى الله عنه قائلا :

((فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم رضى الله عنهم ، ومن هو من أهل البيت . مثل سلمان الفارسى رضى الله عنه . إلى يوم القيامة فى حكم هذه الآية من الغفران . فهم المطهرون اختصاص من الله وعناية بهم لشرف محمد صلى الله عليه وسلم وعناية الله به ، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا فى الدار الآخرة ، فإنهم يحشرون مغفورا لهم .

((وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلب منا عن أمر الله إلا المودة فى القربى ، وفيه سر صلة الأرحام ، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه فيما هو قادر عليه ، فبأى وجه يلقاه غدا أو يرجو شفاعته ؟ ... ثم انه جاء بلفظ (المودة) وهى الثبوت على المحبة... فلو كشف لك ياولى عن منازلهم عند الله فى الدار الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليتهم والله يلهمنا رشد أنفسنا .

الرسول فى حماية الله تعالى :

كان صلى الله عليه وسلم فى حماية ربه ، فلم يستطع أعداؤه أن يصلوا إليه بسوء ، وقد قال له ربه عز وجل : (والله يعصمك من الناس) ، وقد روى الإمام مسلم رضى الله عنه بسنده عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه ^١ المدينة ليلة فقال : ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى الليلة ، قالت : فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، قال : من هذا ؟ قال : سعد بن أبى وقاص ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما جاء بك ؟ فقال : وقع فى نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام . وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرسه أصحابه حتى نزل قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) فقال لأصحابه صلى الله عليه وسلم : انصرفوا ، فقد عصمنى الله ، رواه الحاكم .

اتباع الرسول دليل على محبة الله تعالى :

إن قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) يربط بين محبة الله تعالى وبين اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله ، كما يربط بين اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مغفرة الله للمؤمنين وفى ذلك شهادة ربانية بكمال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبوديته لربه .

^١ أى عند قدومه للمدينة المنورة .

الرسول نور للمهتدين :

وقوله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم نور من الله للناس . فمن لم ينتفع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كمن أغمض عينيه عن ضوء النهار فعسى عن الطريق وبقي في الظلمات محروما من نعمة الإيمان والهدى . ويقول الإمام جلال الدين الرومي رضى الله عنه وما ذنب البستان إذا قصرت في جنى ثماره ، وما ذنب النهار إذا أغمضت العين عن شهود أنواره .

الرسول باب المؤمنين إلى الله تعالى :

أحب الله تعالى لعباده أن يتصلوا به عز وجل من طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه باب وصلتهم بربهم لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذى دلهم على الله وبلغهم كتابه وعلمهم شرعه جل وعلا . وتجدون ذلك واضحا فى قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وفى قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيفا) فإذا أنت ربطت بين ((جاءوك)) وبين ((فاستغفروا الله)) ، عرفت معنى أنه صلى الله عليه وسلم بابنا إلى الله ، وصدق سيدنا البكرى إذ يقول :

وأنت باب الله أى امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

الرسول هو الأسوة الحسنة :

جعل الله رسوله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة نتأسى بها ونقتدى في العبادات الظاهرة والسلوك الروحي والأداب القلبية ، فقال تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ووصفه سبحانه وتعالى فى ظاهره وباطنه أوصافا خالدة ليكشف لنا طريق التأسى به فى أفعاله الشريفة وأقواله المنيفة وأحواله السنينة ، فقال تعالى مثلا (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) فانظر كيف أبان سبحانه عن تألم رسوله صلى الله عليه وسلم لما تتألم منه أمته وكيف يتمنى لها الخير وكيف يراف بالمطيعين ويرحم العاصين . وكل هذه مشاعر قلبية وأحاسيس خفيفة وهى خافية عن عيوننا وظاهرة لله سبحانه الذى يعلم السر وأخفى .

وفى قوله تعالى : (فبما رحمة الله من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) يكشف الله تعالى عن آثار الرأفة والرحمة التى تحلى بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان لأصحابه ولم يخاشنهم ، ورق لهم ، ولم يغلظ عليهم أو يعنفهم ، فأحبوه من قرارة نفوسهم ، وتعلقوا به واستمسكوا بصحبته ، والتزموه ولم يفارقوه . وأراد الله تعالى أن يزيده من فضله عليه فوجهه إلى مزيد من عطفه صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم فى الأمور العامة التى لم ينزل بها وحى الله ، وقد روى البيهقى عن ابن عباس أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشورى " أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي " .

أقول : فعن الإسلام يأخذ الناس الديمقراطية - لا عن بلاد الشرق أو الغرب - فقد أغنى الله بالشورى المسلمين عن هؤلاء وهؤلاء ، والمسلمون من فضل الله عليهم يعطون ولا يأخذون ، فإذا هم تأسوا في الشورى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم العلماء وأعقل العقلاء وسيد الأولين والآخرين ، والمعصوم بعصمة رب العالمين ، أمنوا تحكم الفرد واستبداده وتجنبوا المزالق ، فسعد بتطبيق احكام الدين الحاكم والمحكوم .

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - الذي لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم " بالفاروق " الذي فرق الله به بين الحق والباطل - يقول للناس : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . وقال مرة : أيها الناس من رأى فى أعوجاجا فليقومه ، فقال له بعض القوم : والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا ، فقال أمير المؤمنين عمر : الحمد لله الذى جعل فى الأمة العربية من يقوم أعوجاج عمر بحد سيفه .

فإذا كان أمير المؤمنين عمر رحب بالمعارضة فغيره أولى بأن يرحب بها وينبغى أن تكون المعارضة خالصة لوجه الله ، فلا تصدر عن علة شخصية أو أهواء خفية ، بل يكون المقصود منها المصلحة العامة للإسلام والمسلمين فتكون معارضة بناءة غير هدامة ، ونزيهة غير سفهية . ولا شك أن الحاكم العاقل والعاقل يرحب بالإستجابة لها ولا يتأذى منها ،

ولا شك أن الله تعالى يضاعف الثواب لصاحبها وللحاكم المستجيب لها .

قصورنا في الأحوال الشريفة :

إن سر تأخر المسلمين وضعف أخوتهم أفراداً وجماعات وأقطاراً هو قصورهم في الأحوال الشريفة التي تحلت بها نفس مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نأخذ عنهم الرأفة والرحمة ولين الجانب والسماحة وتمنى الخير للمسلمين وكراهة الشر لهم . . إلخ ، بل أهملنا العناية بهذه الأحوال فتعادينا أفرادا وجماعات وتحاسدنا وتقاطعنا فاستخف أعداؤنا بنا . ولكننا حين استيقظنا في الآونة الأخيرة من غفلتنا وتدركنا أمورنا وتساندنا وتعاوننا ضد إسرائيل في المعركة الأخيرة التي هزت الخائفين وزلزلت المشرقين والمغربيين رأينا بالتطبيق العملي الأثر الفعال للوحدة الإسلامية والروابط القلبية ، فاستمع العالم لنا بعد أن تصامم ، واهتم بنا بعد تهاون ، وقد ظهرت وحدتنا العربية في مؤتمر الجزائر ، ثم تلتها وحدتنا الإسلامية في مؤتمر لاهور بالباكستان ، وهكذا يجب أن تدوم الوحدة الإسلامية بين العرب والعجم ، فلا تفصل بينهم جنسيات أو لغات أو حدود جغرافية . ورحم الله فليسوف المسلمين السيد (محمد إقبال) الباكستاني إذ يقول في وحدة صفوف المسلمين :

الصين لنا والهند لنا	والعرب لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً	وجميع الكون لنا وطناً

توحيد الله لنا نور
 بنيت في الأرض معابدها
 هو أول بيت نحفظه
 يا راض النور من الحرمين ويا
 روض الإسلام ودوحته
 إن اسم محمد الهادي
 أعدنا الروح له سكنا
 والبيت الأول كعبتنا
 بحياة الروح ويحفظنا
 ميلاد شريعتنا
 في أرضك نماها دمنا
 روح الآمال لنهضتنا

وأقول بعد ذلك لعل تجربتنا الرائعة في معركة العاشر من رمضان ألفأت تزيدنا استمساكا بالأخوة الإسلامية والتحلى بالمكارم المحمدية فلا نتقاطع ولا نتدابر ، بل نبقى على الدوام إخوانا متحابين متماسكين متعاونين ضد أعداء الإسلام الظاهرين منهم والمستترين .

مكانة الرسول في القضاء :

ألزمتنا الله سبحانه بأن نرضى بقضاء رسول الله صلى عليه وسلم ونسلم به تسليماً مطلقاً ، فإن لم نفعل سقطنا بعيداً عن الإيمان ، وقرأ ذلك في قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) . وقد قتل سيدنا عمر المنافق الذي لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وذلك المقام الذي أراده الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ينبهنا إلى احترام سنته ، واستحسان ما استحسنته ، واستقباح ما استقبحة دون أن نجد في انفسنا حرجاً أو نقداً لشيء من ذلك
 وقد ، قال

صلى الله عليه وسلم : " لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها ونهارها لا يزيغ عنها إلا هالك " .
 ومن أسف أن بعض الناس فى هذا الزمان يستحسنون ما لم يستحسنه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، ويريدون أن يغيروا بهوهم الفاسد حدود الله بحجة التطور العصرى ، ويقولون
 فى مغالطة ظاهرة : إن الإسلام دين السماحة ، وإنى أعتارف بأن الإسلام دين السماحة ،
 ولكنى أقول لهم ما قاله أمير المؤمنين على بن أبى طالب للخوارج : هذه كلمة حق أريد بها
 باطل .

واعجبوا كيف حذرنا رسول الله عليه وسلم من هذه النزاعات الشيطانية حين قال : ((لتتبعن
 سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وراءهم ، قالوا :
 اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : فمن غيرهم ؟)) .

وها نحن أولاء نرى أنهم طولوا الشعور فطولناها ، وقصروا ملابس النساء فقصرتها نساؤنا
 وبنينا ، وشربوا الخمر فشربها بعضنا . ولعبوا القمار فلعبه ناس من قومنا . . وهكذا ، وفى
 ذلك خروج عن حدود الله و عن شرع الله . وفى ذلك غضب الله وغضب رسول الله ، فلنتب
 سريعاً من هذه المزالق والسقطات لنتدارك ما فات ، ولنسعد فيما هو آت ، فإن سعادتنا فى
 تقوى الله ، وقد قال تعالى : (إن أكرمكم

عند الله أتقاكم) ، وقال فى أهل الخشية : (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)

ولا يخافكم أنه من القواعد الأصولية فى الدين أنه : لا اجتهاد مع النص ، وإذن فلا محل لأن يفكر البعض منا فى الخروج عن نصوص الدين الصريحة والصحيحة تحت شعار التطور ، وهو عين التهور .

أيها الأحباب :

إن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد مجداً بهذه المحافل التى نقيمها فى مناسبة ذكرى مولده المبارك ، لأنه نال مجده الأسمى عند ربه الأعلى ، لكننا نحن الذين ننتفع من إقامة هذه المحافل التى نتواصى فيها بالحق ، والتواصى بالحق صفة كريمة من صفات المؤمنين المتقين ، وقد نوه الله تعالى بها فى قوله الكريم : (والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

الشرية دائمة :

إن الله تعالى ختم الشرائع السماوية كلها بالشرية المحمدية ، وجعلها باقية الى يوم القيامة . فهى دائمة بحدودها لا تتغير ولا تتبدل ، وهى شريعة الله العليم الخبير ، الذى يعلم ما كان وما يكون ، والحكيم الذى يضع الأمور مواضعها ، ويرى بحكمته ما لا يراه الخلائق أجمعين ،

حتى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، وقد قال تعالى لرسولنا صلى الله عليه وسلم فى سورة الجاثية : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين * هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون * أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) ، وهذا نص صريح ألزم فيه رسوله صلى الله عليه وسلم وأمته باتباع شرع الله ونبذ ما سواه ، فمن تطلع إلى غير شرع الله فقد خرج عن أمر الله ، ومن خرج عن أمر الله فقد ضل سواء السبيل ، ومن حرص على اتباع شرع الله فقد فاز برضوان الله ، وتمت له نعمة الله .

وبان لنا مما تقدم أن ما أخذت به السيدات والآنسات من كشف الشعور والنحور والأذرع والسيقان تقليداً لغير المسلمات من الأجنيبات إنما هو من نزغات الشيطان الذى يزين لهن القبيح تحت ستار التقدم العصرى وسماحة الشريعة ، وكذلك ما تطالب النساء من مساواتهن بالرجال فى الميراث أو فى تقييد الرجال فى الطلاق أو تعدد الزواج بغير ما أنزل الله ، فهو كذلك من وساوس النفس والشيطان .

فلنتب إلى الله من هذه الفتن قبل أن يأخذنا الله بعذابه فى الدنيا والآخرة ، وقد بين لنا صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم حدود الله

وحلاله وحرامه وحذرنا من مخالفته فيما أمر به أو نهى عنه ، فقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وكما حذر الله المخالفين فقد بشر الطائعين فقال تعالى : (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) جعلنا الله وإياكم من الفائزين فوزا عظيما .

صاحب المقام المحمود :

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء لرسوله صلى الله عليه وسلم : (ومن الليل فتهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) ، قال الإمام الفخر الرازى : أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة . وقال العلماء : إن كلمة " عسى " من الله واجب أوجبه الله بفضله وكرمه على نفسه . وفى البخارى من حديث ابن عمر قال : " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال : هو الشفاعة " ، وقد روى الإمام مسلم بسنده قوله صلى الله عليه وسلم : " لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً) " ،

القسم بمكة المكرمة :

أقسم الله تعالى بمكة المكرمة ، فقال تعالى : (لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد) أى نقسم لك بهذا البلد الذى شرفته بجلولك فيه ، وهو مكة المكرمة حرسها الله ، وبلولته فيها صلى الله عليه وسلم صارت حرماً ، ومهبطاً للوحى ، ومنبعاً للدين ، ومشرقاً لنور الهدى ،

وقد قال العلماء : إن القسم بمكة المكرمة أدخل^١ في تعظيمه صلى الله عليه وسلم من القسم بحياته الوارد في قوله تعالى : (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) .

وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، قد بلغت من الفضيلة عند الله أنه أقسم بتراب قدميك ، فقال تعالى : (لا أقسم بهذا البلد) .
الأدب فى خطاب الرسول :

جعل الله سبحانه الأدب فى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم من علامات التقوى ، فقال تعالى مادحاً سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما : (إن الذين يغيضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) ، وقد كانا رضوان الله عليهما يكلمانه بصوت منخفض جداً توقيراً له ، فوعدهما الله مع أمثالهم المغفرة والأجر العظيم .

كمالته صلى الله عليه وسلم :

بلغ صلى الله عليه وسلم غاية الكمال البشرى فى جسده وروحه ، وفى أقواله وأفعاله وأحواله ، وتحلى بسائر الكمالات الخلقية ، واستغنى بقول الله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) عن وصف البشر ،

ولقد خلقه الله تعالى فى أحسن تقويم ، فكان كامل البنية ، كامل العقل ، حسن الصوت ، فصيح اللسان ، قوى البيان ، سليم الوجدان ، تام العرفان ، واستوى على قمة الصفات المحمودة شرعاً وعقلاً ، فتم فى علمه وحلمه وصبره وصدقته وأمانته وحيائه وسخائه وتوكله ورضاه وذكره وشكره وعفوه ورأفته ورحمته وسكينته وتواضعه وانكساره وشجاعته ونجدته وهيبته وخشوعه وخوفه ورجائه ووفائه ودعائه وبكائه وعبادته وانتصاره للحق ورفقه وحسن عشرته وحبه للخير وبغضه للشر وبره بالضعاف والأيتام والمساكين ، ولم يبلغ شأوه فى كل ذلك سابق ولا يلحقه لاحق صلى الله عليه وسلم أبداً الآبدين .

الدين خلق :

إن الدين خلق . فمن زاد عليك فى خلقه فقد زاد عليك فى دينه ، وتأتى زيادة الدين فى متعلقات الإيمان من فعل الطاعات وترك المخالفات ، أما العقيدة فجوهرها واحد وأساسها واحد ، وإنما يتفاضل المؤمنون فى المسلك وحسن التطبيق والتخلق بالأخلاق المحمدية الكاملة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) ، فإذا أردنا أن نكون مسلمين مثاليين فيجب أن نتأسى بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنأخذ عنه ونتشبه به ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وهذا يقتضينا أن نقرأ عنه كثيراً ، وأن نحرض على الاهتداء بهديه ،

وأن نستن بسنته ، وأن نقتفى طريقته فى ظاهرها وباطنها ، لنكون من كلمة المسلمين فى ظواهرنا وبواطننا ، ولنسعد بالإسلام فى الدنيا والآخرة ، وقد وعد الله المجاهدين عونته وتوفيقه ، فقال تعالى : (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) .
وأشكر لكم حسن استماعكم ، وأدعو الله تعالى أن يعيد هذه الذكرى علينا وعليكم وعلى المسلمين بخير ما تعود الأيام والأعوام .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

حسن كامل المطاوى